

## بعض خصائص سعيد

المغرب - عدد خاص بالذكرى الأولى للمرحوم سعيد حجي  
السنة السادسة - العدد 1189 - الخميس 4 ربيع الأول عام 1362 الموافق 11 مارس

1943

مؤرخ الدولة السيد محمد بن علي الدكالي

تراه مع الشباب شابا وقاد القريحة باحثا مجادلا مبديا آراءه في طريق خوض غمار الحياة  
باعثا على الصمود ...

وتراه مع الكهل كهلا مكتمل الرجولة ثابت الجنان يعطيك مثالا للشبات والصبر ويجادل  
عن مبادئه بقلمه ولسانه بحجته وبيانه ولا تلين قناته إلا لمن شاركه في مبادئه

\*\*\*

نعود إلى ذكر فقيد الشباب السيد سعيد حجي رحمه الله، والعود أحمد، إسعافا لرغبة  
« أسرة المغرب » في المشاركة بذكره السنوية بكلمة تتعلق بناحية من نواحي حياته المليئة  
بالمظاهر العجيبة والذكريات النادرة فنقول:

أخواله علم حى خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم  
وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى يمد من الأحياء وهو عديم

كان المرحوم السيد سعيد حجي ذا شخصية نادرة الوجود في شؤونه كلها، في شبابه ونشأته  
وفي اجتهاده لتحصيله وفي معلوماته الحمة وفي خوضه غمار الحياة وفي أخلاقه الواسعة

ومرونة طبعه وفي أسفاره واغترابه وتعبه للناس ومحبة الناس إليه وفي معاشرته لطبقات الناس على اختلاف طباعهم ومآربهم ومعلوماتهم وأديانهم:

فتجده قدس الله روحه في النعيم المقيم مع الشباب شابا وقاد القريحة ضاحكا مستبشرا باحثا مجادلا مفيدا مستفيدا مبديا آراءه وأنظاره العالية في طريق خوض غمار الحياة باعثا على الصمود إلى نيل المطلوب بكل ما يمكن ويملكه الإنسان من جهود علمية وغنى مادي لا يثنيه عن ذلك مانع ولا يصدده عنه صاد ولو بلغ من الممانعة ما بلغ، وتلك مقالاته في الجرائد والمجلات طلحة بأبحاثه وفوائده النافعة وأقواله الواسعة.

وتراه مع الكهل كهلا مكتمل الرجولة ثابت الجنان يعطيك مثلا للثبات والصبر، ويخوض ميادين العمل النافع ويجادل عن مبادئه بقلمه ولسانه بحجته وبيانه ولا تلين قناته إلا لمن شاركه في مبادئه ويسير على منهاجه من السعي المستمر للنفع العام والحياة المنتجة لصالح الحالة العلمية والأخلاقية والمادية، وتلك جرائده ملئى بأقواله في الموضوع سقى الله ضريحه وابل الرحمة.

وتجده مع الشيوخ شيخا وقورا ساكنا رابط الجأش مستفهما عن الماضي والحاضر بلطافة وأدب مبديا ملاحظاته على كثير من أحوال الماضي راغبا في تفهم ما اعتاص فهمه من مسائله وعوائده ونوادره مجادلا في الشؤون الحاضرة بالدلائل التي يقبلها العقل ويعضدها العلم إلى أن يخلص إلى الصواب والإفادة بحسن السؤال وتلقي الجواب المقنع أو المتع الكافي، وكان رحمه الله ينكر على ذوي الخزائن العلمية بخلمهم بدفاترهم العلمية على ذوي الاستفادة منها، ويود لو اهتدى إلى طريقة تسهل على الناس الانتفاع بما في تلك الخزائن من الذخائر والأعلاق النفيسة، وهي فكرة جديرة بالاستحقاق ولكنها بعيدة المنال لموانع كثيرة. وقدما قال الشاعر:

ولو سئل الناس التراب لاوشكوا إذا قيل هاتوا ان عملوا ومنعوا

كان السيد سعيد كامل العقل ينظر إلى الأشياء نظر الاستفادة والاعتبار لا نظر الفرجة والتلهي ينتزع من الماضي الذاهب قوة ومثالا ومن الزمان الحاضر عبداً وأشكالا ويهيئ للمستقبل معارف وأعمالاً، فهو رجل زمانه يسلط معارفه على الماضي والحاضر ويدخر للمستقبل أعمالاً وأقوالاً تدوم مع الزمان المستمر وإن فارقه بذاته فأعماله وأقواله تبقى مستمرة خالدة.

وتلك لمحة من روحانية المرحوم وقبس من أنوار عقله المستنير، وانظر إليه يجول بفكره في العالم الإسلامي على اتساع أكنافه في المعمور؛ وهو قاعد بمكتبه أو سائر في طريقه أو منزو في مرقد كانه مدير سياسي يخوض بحار الوجود ويستوحي أخباره من مظانها مهتماً بما هو عليه من خير أو شر، نفع أو ضرر، شدة أو رخاء، تقدم أو تأخر، فتراه يتألم عند اليأس، ويفرح عند الرجاء.

ثم انظر إليه قدس الله روحه فوق جبل عرفات في السنة التي حج فيها يفتح إخوانه الحجاج الشرقيين، فيجلس إلى جانب الشيخ الوقور الجاوي المسلم في خبائه ليستعلم منه عن أحوال إخوانه المسلمين بجزائر الهند الجاوية الهولندية كيف حالهم وحياتهم وحريرتهم في دياتهم وسلامتهم في أنفسهم ودنياهم، ثم يتلقى من أخيه الجاوي المذكور مثل تلك الأسئلة عن المغاربة المسلمين، ويتصل الحديث في التعارف الإسلامي بجبل عرفات في ابتهاج وصفاء وسرور وهناء لا مثيل له في الحياة ولا يتأتى إلا في ذلك الجبل المقدس حيث ينسى الغريب وطنه ويعمر قلبه بجلال الله وجماله.

ثم ترى السيد سعيد ينتقل إلى مخاطبة حاج آخر من بلاد روسيا من إخوانه المسلمين ولا يزال يستقرئ الأحوال ويستلمني من مسلمي المعمور مفيد الأقوال، ويرجع إلى وطنه المغرب الأقصى ممتلئ الوطاب عامر الفكر بما استمده من أحوال العالم الإسلامي، وهناك ترى السيد سعيد محي اكنامل عقلا وروحا وعظمت همته فأضاف إلى معارفه الواسعة وثقافته العالية ملكة أخلاقية وخبرة عامة استفادها بأسفاره المتعددة شرقا وغربا، بعدا

وقربا، فجاءت أعماله المفيدة نتيجة تلك الملكة وعصارة تجاربه المتواترة ويكفيه فخرا له ذاته اللطيفة سكنت الضريح وروحه الشريفة صارت إلى مستقى الرحمة وعالم النور والقدس، وأعماله لا تزال مستمرة الحياة بحالها كما كانت قيد حياته قدس الله روحه .  
ومن أفكاره رحمه الله التي وافق فيها أكبر علماء الاجتماع من المسلمين أنه كان يتمنى للإسلام نهضة عامة في الشؤون العلمية والأدبية يتأتى بها حفظه كيان الإسلام .  
وبالحملة فالرجل كان آية من آيات الله البينات، واسع المعرفة، عظيم الهمة، خيرا بشؤون الحياة الاجتماعية، اشتعلت أنوار ذكائه فأضاءت عقله في زمان قصير، ثم فارقت هذا العالم الفاني إلى عالم الخلود والبقاء « وإن إلى ربك المتهدى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام، وكل من عليها فان » .